

البحر المتوسط بين الهيمنة والتفاوض

" الجزائر وأوروبا في شهادة الرحالة فرنسوا بوتي دي لاكروا 1695م

François Pétis de la Croix "

The Mediterranean Between Hegemony and Negotiation:**Algeria and Europe in the Testimony of the Traveler****François Pétis de la Croix(1695)**Fatiha Sahraoui¹ / صحراوي فتيحة فتيحة صحراوي¹ جامعة خميس مليانة (الجيلالي بونعامة)

المؤلف المرسل: د/ صحراوي فتيحة Fatiha Sahraoui البريد الإلكتروني: f.sahraoui@univ-dbk.m.dz

تاريخ الاستلام: 2025/11/ 25 تاريخ القبول: 2025/12/ 25 تاريخ النشر: 2025 /12/28

الملخص:

يتناول هذا البحث بالتحليل النقدي، نص الرحالة الفرنسي والمستشرق الملكي: فرانسوا بوتي دي لاكروا (François Pétis de La Croix) الموسوم بـ "مذكرة حول مدينة الجزائر (Un mémoire sur Alger)، التي كتبت سنة 1695م، بوصفه أحد أقدم النصوص الفرنسية الرسمية، التي حاولت تقديم تصور شامل عن مدينة الجزائر في العهد العثماني. يأتي هذا النص في سياق تصاعد الاهتمام الأوروبي بالمغرب الإسلامي خلال أواخر القرن السابع عشر ميلادي، ويشكّل نموذجًا مبكرًا للكتابة الاستشراقية ذات البعد الوصفي-الاستخباراتي-

يعتمد هذا البحث على منهج تحليل الخطاب التاريخي، للكشف عن العلاقة بين إنتاج المعرفة، وبنية السلطة الاستعمارية المتشكلة، وتركز على كيفية بناء صورة نمطية عن الجزائر خلال الحقبة العثمانية، بوصفها فضاءً يجمع بين التنظيم العسكري الصارم والتعدد الثقافي، وفي الوقت نفسه يُصور على نحو يغذي الانطباعات أو الصور الأوروبية عن "الآخر المسلم" كرمز للغربة والتأخر. وتكشف القراءة عن ازدواجية

الرحالة فرنسوا بوتي دي لacro 1695م

في خطاب بوتي دي كروا، بين الرغبة في نقل ملاحظات دقيقة، والانزلاق في تحيزات ثقافية تستنبط نظرة فوقية، كما تبرز الأبعاد الاستخباراتية للنص، بما في ذلك وصف التحصينات، نظام الحكم، والبحرية، والحياة الاقتصادية والاجتماعية، مما يجعله أداة مبكرة لإنتاج معرفة استعمارية، وظفت لاحقاً في خدمة التوسع الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: البحر الأبيض المتوسط؛ الجزائر؛ فرنسا؛ أوروبا؛ بوتي دي لacro.

Abstract:

François Pétis de La Croix's "A Memoir on Algiers" (1695) is one of the earliest French texts offering a comprehensive account of Algiers during the Ottoman era. Written at a time of growing European interest in the Islamic Maghreb, the memoir combines detailed observation with intelligence-gathering purposes.

Algiers is depicted both as a city of strict military organization and cultural diversity, and through stereotypical portrayals that reinforce European perceptions of the "Muslim Other" as unfamiliar and backward. While Pétis de La Croix provides meticulous descriptions of the city's fortifications, governance, naval forces, and economic and social life, his account also reflects cultural bias and a sense of European superiority. Overall, the text represents an early form of orientalist writing and serves as an important instrument in producing knowledge that later facilitated French colonial ambitions.

Keyword : Mediterranean Sea; Algeria ; France ; Europe ; Pétis de la Croix

1. مقدمة:

يعدّ البحر الأبيض المتوسط، عبر العصور ملتقى حضارات، ومجالاً للتفاعلات الجيوسياسية والاقتصادية والثقافية، حيث تداخلت فيه مصالح القوى الكبرى، وتعددت أنماط الاتصال والصراع بين ضفتيه الشمالية والجنوبية، وفي هذا السياق، شكّلت الجزائر خلال الفترة الحديثة¹، فاعلاً مركزياً في شبكة العلاقات المتوسطية، لا سيما في ظلّ موقعها الجغرافي الاستراتيجي، وانتمائها إلى المجال العثماني، مما جعلها في صلب الاهتمام الأوروبي، سواء من ناحية الهيمنة الاستعمارية، أو من منظور التفاوض الدبلوماسي. تُعدّ كتابات الرحالة الأوروبيين مصدراً تاريخياً مهماً لفهم تصوّرات الأوروبيين للجزائر وعلاقاتهم بها، كما تساهم في الكشف عن الخلفيات الإيديولوجية التي شكّلت نظرتهم إلى الآخر المغربي، ومن بين هذه الشهادات، تبرز شهادة الفرنسي (فرنسوا بوتي دي لا كروا (François Pétis de la Croix)، التي تتمثل نموذجاً غنياً لدراسة العلاقات الجزائر- الأوروبية، خلال الفترة الحديثة. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الجزائر وأوروبا في فضاء البحر الأبيض المتوسط، من خلال مقارنة ثنائية الهيمنة والتفاوض، كما تتجلى في شهادة (François Pétis de la Croix)، وذلك بغرض فهم أعمق لطبيعة هذه العلاقات، في سياقها التاريخي والسياسي.

2. الإشكالية:

- ما هي صورة الجزائر في شهادة الرحالة فرنسوا بوتي دي لا كروا François Pétis de la Croix ؟
- هل كانت هذه الصور تعبر عن هيمنة مطلقة لأوروبا، أم صور تعبر عن علاقات تفاوضية ندية في سياق توازنات القوى في البحر الأبيض المتوسط؟.
- إن الوقوف على تفاصيل المدونة، يقتضي أولاً التعريف بشخصية بوتي دي لا كروا.

الرحالة فرنسوا بوتي دي لاكروا 1695م

3. تعريف (فرنسوا بوتي دي لاكروا François Pétis de la Croix) (1653-1713م):

وُلد فرانسوا بوتي دي لاكروا، في باريس سنة 1653م، وهو ابن أنطوان بوتي دي لاكروا، المترجم الملكي للغة العربية في البلاط الفرنسي، كان من أوائل الفرنسيين الذين تلقوا تدريبًا متخصصًا في اللغات الشرقية ضمن برنامج أنشأه جان بابتيست كولبير (Jean-Baptiste Colbert) بهدف إعداد مترجمين ودبلوماسيين قادرين على تمثيل مصالح فرنسا في العالم الإسلامي.²

أرسل فرنسوا بوتي دي لاكروا، بين عامي (1670 و1680م)، في بعثة إلى الشرق الأدنى³، فأقام في سوريا وفارس والإمبراطورية العثمانية، وأتقن العربية والفارسية والعثمانية⁴، وقد مكنته هذه الخبرة الميدانية من المشاركة في بعثات دبلوماسية إلى المغرب والجزائر وتونس وطرابلس الغرب، حيث أسهم في صياغة معاهدات واتفاقيات باللغات الشرقية.⁵

تقلد عدة مناصب أكاديمية ودبلوماسية نذكر على سبيل المثال:

- أستاذ اللغة العربية في الكوليج دو فرانس (Collège de France) سنة 1692م.

- خلف والده في منصب المترجم الملكي للغات العربية والفارسية والعثمانية، وذلك سنة 1695م، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة 1713م.

كان بوتي دي لاكروا، من الأوائل الذين أدخلوا الأدب العربي والفارسي والتركي إلى جمهور القراء الأوروبيين، وساهم في تشكيل صورة "الشرق" في المخيلة الفرنسية خلال القرن الثامن عشر، كما قام بعدة ترجمات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ترجمة - Zafar Nama - سيرة تيمورلنك تأليف شرف الدين علي يزدي، نُشرت بعد وفاته سنة 1722، وتُرجمت لاحقًا إلى الإنجليزية عام 1723م.

يذكر أيضا أن بوتي دي لاكروا، كان من بين الشخصيات التي شهدت توقيع معاهدة السلم بين الجزائر وفرنسا سنة 1666م⁶، مما يعكس دوره البارز في الأحداث الدبلوماسية في تلك الفترة، فماذا عن هذه المعاهدة.

4. العلاقات الجزائرية - الفرنسية قبل سنة 1830: شهدت العلاقات الجزائرية- الفرنسية قبل سنة 1830⁷، مساراً طويلاً من التفاعل، اتسم بالتذبذب بين التعاون والصراع، فربطت الجزائر، بفرنسا علاقات تجارية ودبلوماسية مهمة، لكن هذه العلاقات لم تخلُ من احتكاكات بحرية ونزاعات سياسية انتهت بتفاهم التوتر بين الطرفين .

في بادئ الأمر تميّزت العلاقات بين الطرفين بطابع تجاري واضح، حيث سعت فرنسا منذ القرن السادس عشر ميلادي إلى ضمان موطئ قدم في المتوسط، وتمكنت من الحصول على امتيازات بحرية وتجارية من السلطات الجزائرية- في إطار الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأجنبية-⁸ وشملت المبادلات بين الطرفين استيراد فرنسا للحبوب والزيوت والجلود، مقابل تصديرها المنسوجات والمواد المصنعة، وهو ما جعل العلاقات الاقتصادية عنصراً مهماً في الارتباط بين البلدين.

لكن هذا التعاون لم يمنع حدوث توترات حادة، خصوصاً بفعل نشاط القرصنة⁹ في المتوسط، حيث كانت السفن الجزائرية تستهدف السفن الأوروبية خلال فترات النزاع. وقد ردت فرنسا بعدد من الحملات العسكرية على الجزائر في أعوام: 1628 و 1682 و 1683 و 1688، ورغم انتهائها وتغلب عليها الشكوك.

في أواخر القرن الثامن عشر، تعمقت الروابط الاقتصادية بسبب حاجة فرنسا للقمح أثناء الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، وهو ما جعلها مدينة لتجار جزائريين بمبالغ مالية كبيرة¹⁰، غير أنّ ملاحظة فرنسا في سداد هذه الديون تحولت إلى خلاف دبلوماسي حاد بلغ أوجه سنة 1827 في حادثة المروحة بين الداي حسين (1818-1830)¹¹ والقنصل الفرنسي دوفال، وأدت هذه الأزمة إلى فرض فرنسا حصاراً بحرياً على الجزائر، ما مهّد لتدهور شامل في العلاقات، انتهت باحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م.

من أجل ذلك وقعت بين الطرفين عدة معاهدات، تهدف إلى وقف النزاعات مؤقتاً، وتنظيم العلاقات التجارية، لكنها غالباً لم تكن دائمة، مما مهد الطريق لاحقاً للغزو الفرنسي سنة 1830.

من بين هذه المعاهدات معاهدة سنة 1666م، والتي شهد توقيعها كما ذكر سابقاً، (بوتّي دي لا كروا

(François Pétis de la Croix) فما هي الدلالات والتفاصيل المتعلقة بهذه المعاهدة؟

الرحالة فرنسوا بوتي لاكروا 1695م

5. معاهدة السلام بين الجزائر وفرنسا (1666م): شهد القرن السابع عشر صراعًا مستمرًا بين فرنسا وإيالة الجزائر، كان محوره السيطرة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، وتأمين طرق التجارة، ومواجهة نشاط القرصنة، فبعد فشل الحملة الفرنسية على مدينة جيجل سنة 1664م، دخل الطرفان في مرحلة من التوتر الدبلوماسي والاقتصادي، انتهت بمحاولة التوصل إلى اتفاق سلام في 17 ماي 1666م. شكلت هذه المعاهدة محطة بارزة في تاريخ العلاقات بين الطرفين، لأنها عكست الانتقال المؤقت من المواجهة العسكرية إلى البحث عن التهدئة عبر المفاوضات.

بدأت شرارة الأحداث بحملة لويس الرابع عشر¹² على مدينة جيجل عام 1664، حيث نزلت القوات الفرنسية بقيادة الدوق دو بوفور (Duc De Beafort) في المدينة، بهدف تأسيس قاعدة عسكرية وتجارية على الساحل الجزائري. ورغم النجاح الأولي، إلا أن الحملة واجهت مقاومة شرسة من السكان، وحصارًا خانقًا من القوات الجزائرية ورياس البحر، فضلًا عن انتشار الأمراض في أوساط الفرنسيين. اضطرت القوات الفرنسية للانسحاب بعد ثلاثة أشهر فقط، مخلفة وراءها خسائر بشرية ومادية كبيرة، فشل الحملة أظهر قوة المقاومة المحلية وقدرة السكان والزعماء المحليين على الدفاع عن مدينتهم. وتعتبر الحملة أول محاولة فرنسية واضحة للاحتلال في الجزائر، قبل القرن 19 بعدة قرون. كما دخلت هذه الحملة في الذاكرة المحلية كرمز للمقاومة ضد القوى الأجنبية، وأثرت على تعامل الفرنسيين مع الساحل الجزائري لاحقًا.

هذا الانسحاب لم يمهّد حالة العداء، بل دفع فرنسا للبحث عن تسوية تحفظ ماء الوجه وتؤمن مصالحها التجارية في المنطقة. حيث كلّف لويس الرابع عشر، مبعوثه أندريه فرانسوا تروبير (André-François Trubert) بإجراء مفاوضات مباشرة مع حكام الجزائر. كان الهدف الفرنسي واضحًا، وهو إعادة فتح الباستيون الفرنسي (Bastion de France) على الساحل الشرقي للجزائر، وضمان سلامة السفن الفرنسية، وتأمين إطلاق سراح الأسرى، ومن الجانب الجزائري، شارك الداوي وأعيان الجزائر في المفاوضات، مستفيدين من موقع القوة الذي منحهم إياه فشل الحملة الفرنسية.¹³

معاهدة 17 مايو 1666 بين الجزائر وفرنسا تُعد من أهم الوثائق الدبلوماسية في القرن السابع عشر، إذ جاءت بعد فترات طويلة من التوتر البحري والتصادمات بين مصالح القراصنة الجزائريين والتجار الفرنسيين. ركزت المعاهدة على تنظيم العلاقات بين الطرفين بطريقة شاملة، فضمنت حماية حرية التجارة والملاحة في المياه المتوسطية، وتنظيم حقوق السفن والرعايا، وضبط إجراءات إطلاق سراح الأسرى والعبيد الفرنسيين المحتجزين في الجزائر مقابل الإفراج عن الرعايا الجزائريين المحتجزين في فرنسا. كما منحت المعاهدة للقنصل الفرنسي في الجزائر امتيازات واسعة¹⁴، تشمل التوسط في النزاعات والتعامل المباشر مع السلطات المحلية لحماية مصالح رعاياه، ما ساهم في ترسيخ حضور دبلوماسي وتجاري دائم لفرنسا في المنطقة.

تُظهر المعاهدة قدرة الطرفين على الجمع بين البعد القانوني الدولي والتسوية العملية للنزاعات، كما تمثل نموذجاً مبكراً للمعاهدات البحرية والدبلوماسية بين أوروبا والدول المغاربية، حيث وضعت أسس التفاهم والاحترام المتبادل بين طرفين يمتلك كل منهما مصالح متداخلة في البحر والتجارة والأمن. رغم ما حملته المعاهدة من وعود، فإن التطبيق العملي لم يستمر طويلاً، حيث عادت حالة التوتر والاشتباكات البحرية بعد سنوات قليلة فقط، لتستمر العلاقات بين الطرفين في حالة مد وجزر طوال العقود التالية.

6. نبذة عن مذكرة الدراسة: قام الباحث مارسيل إيميريت (Marcel Émerit) بتحقيق المذكر

المعنونة: بـ: "Un mémoire sur Alger par péris de la Croix(1695)"

"مذكرة عن الجزائر كتبها فرنسوا بوتي دي لا كروا(1695)"، نشرها سنة 1953 في مجلة حوليات معهد

الدراسات الشرقية (Annales de l'Institut d'Études Orientales)، المجلد الحادي

عشر(11)، الصفحات: 5-24.

الرحالة فرنسوا بوتي لاكروا 1695م

7. تعريف مارسيل إيميريت (Marcel Émerit) : ولد المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميريت بمدينة نيور (Niort) الفرنسية سنة 1899م، حصل على شهادة الدراسات العليا في التاريخ، من جامعة بوردو عام 1918، ثم أدى الخدمة العسكرية كضابط متطوع خلال الحرب العالمية الأولى. بدأ التدريس في ثانوية توركون بفرنسا، قبل أن ينتقل عام 1926م إلى جامعة بوخارست كأستاذ محاضر، عاد إلى فرنسا عام 1928 ليدرس في كلية الآداب بليل، وحصل على شهادة الدكتوراه في الآداب سنة 1937 .

التحق سنة 1938م بكلية الآداب في جامعة الجزائر (المحتلة من طرف فرنسا)، كأستاذ للتاريخ المعاصر، وبقي فيها حتى سنة 1962، كما شغل منصب مدير المكتب التاريخي للجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945م)، ثم بعدها عاد للعمل في جامعات فرنسية مثل جامعة ليل. توفي مارسيل إيميريه سنة 1985 بمدينة لوديف (Lodève) الفرنسية، تاركاً العديد من الكتب والمقالات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

Victor Place et la politique française en Roumanie à l'époque de -
l'Union 1931.

- Les Saint-Simoniens en Algérie – 1941.
- Pauline Roland et les déportées d'Afrique – 1945.
- La Révolution de 1848 en Algérie – 1949.
- L'Algérie à l'époque d'Abd el-Kader – 1951.
- Une cause de l'expédition d'Alger, le trésor de la Casbah – 1955.
- Histoire de l'Algérie et du Maghreb : études et documents (1939-1977) .
- Les Mémoires d'Ahmed, dernier bey de Constantine – 1949.

8. مضمون المذكرة: تُعد مذكرة "Description abrégée de la Ville & État d'Alger"، التي كتبها المستشرق الفرنسي فرانسوا بوتي لاكروا عام 1695م، واحدة من الوثائق النادرة التي تقدم وصفاً مفصلاً لمدينة الجزائر في أواخر القرن السابع عشر، خلال الحقبة العثمانية. كونها نتاج مشاهدة مباشرة وتجربة ميدانية لمؤلف كان شاهد على اتصال مع الأوساط الدبلوماسية والتجارية للمدينة.

كتبت المذكورة في فترة كانت الجزائر تشهد نفوذاً بحرياً واسعاً في البحر المتوسط¹⁵، حيث اعتمدت على أسطولها في القرصنة، وتحصيل الغنائم والفدية، كما كانت المدينة مركزاً إدارياً تحت سلطة الدايات العثمانيين، وتجمعاً تجارياً متعدد الأعراق والثقافات

شملت المذكورة مواضيع غاية في الأهمية عن مدينة الجزائر :

منها: وصف تفصيلي لمؤسسات الحكم¹⁶، وعلى رأسها الدايات مثلاً تحدث عن وصول الدايات محمد التريكي (1671-1682م) لسلطة الحكم، خلفاً للحاج علي أغا، وعجز أعضاء الديوان عن تعيين خلفاً له¹⁷، والبايات، والنظام الإداري، مع الإشارة إلى آليات اختيار القادة والعلاقة بين السلطة العسكرية والمدنية.

- القوة البحرية حيث أعطى عرض لحجم الأسطول الجزائري، وطبيعة الغارات البحرية، وأثرها الاقتصادي والسياسي، إلى جانب تفاصيل عن الموانئ والتحصينات.

- أما الجانب الاجتماعي، فتحدث عن مكونات المجتمع الجزائري من أتراك، وعرب، وأندلسيين، ويهود، ومسيحيين أسرى، مع ملاحظات حول العادات والتقاليد والأدوار الاجتماعية، - وفيما يخص الجانب الاقتصادي والتجاري: قام تحليل للموارد الاقتصادية، بما في ذلك القرصنة، الضرائب، النشاط الزراعي، وحركة التجارة الداخلية والخارجية. - كما قام بوصف للأحياء، والأسواق، والقصبة، والميناء... الخ.

9. خاتمة:

يُظهر بوتي دي لا كروا، قلقاً أوروبياً من القوة البحرية الجزائرية، ويصف ممارساتها بأنها عداء بحرياً، لأن القرصنة كما سبق وذكرنا كانت تمارسها جميع الدول بما في ذلك الدول الأوروبية-، متأثراً بالسردية الأوروبية التقليدية، التي ترى في الجزائر تهديداً لهيبة أوروبا، في مقابل هذا التوصيف العدائي، يعترف بوتي دي لا كروا، بقدرة الجزائريين على التفاوض، ووصف ممثلها بالحكمة والحكمة السياسية .

الرحالة فرنسوا بوتي دي لاكروا 1695م

يتبنى بوتي دي لاكروا، كما أغلب مستشرفي عصره، خطابًا يميل إلى تصوير أوروبا باعتبارها مركز الحضارة والتقدم، مقابل تصوير الجزائر والعالم الإسلامي بشكل استشراقي يخلط بين الدهشة والتحقير، هذا الخطاب يُعبّر عن نزعة استعمارية مبكرة تمهّد لتبرير مشاريع السيطرة لاحقًا.

رغم الصورة المهيمن، تكشف شهادة الرحالة عن فاعلية جزائرية كبيرة في التعامل مع التهديد الأوروبي، فالتفاوض لم يكن مجرد اضطرار، بل خيار استراتيجي، وظيفته الجزائر للحفاظ على مصالحها وتوازنها. على الرغم مما يحتويه المذكرة من انحيازات أوروبية ونظرة استشراقية، إلا أنها تقدم مادة غنية يمكن للباحث استخدامها لفهم الحياة الحضارية والسياسية في الجزائر خلال العهد العثماني، فهي توفر بيانات كمية ونوعية مثلاً: عن الأسطول، وعدد الأسرى، والبنية الاجتماعية، وهو ما يتيح مقارنتها بالمصادر العثمانية والأوروبية الأخرى.

إن دراسة مذكرة بوتي دي لاكروا في ضوء السياق التاريخي ومقارنتها بمصادر أخرى تفتح المجال لفهم أعمق لتاريخ الجزائر في أواخر القرن السابع عشر. وبالرغم من التحيزات الكامنة، فإن قيمتها تكمن في قدرتها على تقديم مشهد حي عن المدينة، يدمج بين المعلومة الميدانية والانطباع الشخصي للمؤلف. في الأخير لقد مثّلت الجزائر فاعلاً متوسطياً لا يمكن تجاوزه، قادرًا على فرض شروطه أحياناً، ومجبراً على المناورة أحياناً أخرى، وتُظهر هذه الشهادة أن العلاقة لم تكن علاقة غزو وخضوع، بل كانت علاقة شدّ وجذب، قوامها التوازن، والمصالح، والتفاوض.

10. الهوامش:

¹ تعتبر الفترة الحديثة بالنسبة للجزائر بداية من القرن السادس عشر ميلادي، وتحديدًا بعد أن أصبحت الجزائر، ولاية تابعة للحكم العثماني، وكان ذلك سنة 1519م: ينظر نص الرسالة/ عبد الجليل التميمي، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519" المجلة التاريخية المغربية، العدد السادس، السنة 1976، زغوان، تونس، ص 116. وعن ظروف إحقاق الجزائر بالدولة العثمانية ينظر دراسة، محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروسة (1512 - 1543)، تصدير أ.د. ناصر الدين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012. وامتدت هذه الفترة إلى غاية احتلال الجزائر من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1830م، كما تسمى هذه الفترة أيضًا: بالجزائر في العهد العثماني، والجزائر العثمانية، وإيالة الجزائر، وغيرها.

² V. Monteil, "Pétis de La Croix, François, « Encyclopedias of Islam », Second Edition, Brill, 2012.

³ الشرق الأدنى هو مصطلح جغرافي وتاريخي يشير إلى الإقليم الممتد حول شرق البحر الأبيض المتوسط، ويشمل غالبًا الأناضول وبلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر وأحيانًا أجزاء من شبه الجزيرة العربية. نشأ هذا المصطلح في الأدبيات الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، وكان يُستخدم لتحديد نطاق الإمبراطورية العثمانية السابقة والمناطق المجاورة لها، وقد ارتبط أساسًا بالدراسات التاريخية والأثرية للحضارات القديمة. ومن أبرز هذه الحضارات: حضارة سومر، الحضارة المصرية القديمة، والحضارات الفينيقية. ورغم أن مصطلح "الشرق الأوسط" أصبح أكثر شيوعًا في الاستخدام المعاصر، إلا أن "الشرق الأدنى" ما زال حاضرًا في الدراسات الأكاديمية لتحديد الفضاء الحضاري الذي نشأت فيه أولى المدن والممالك التاريخية. ينظر/ صالح، عبد الله، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر العربي، 2010. أيضًا/ الزهيري، أحمد، حضارات الشرق الأدنى: دراسة تاريخية وأثرية، دار النهضة العربية، 2012.

Liverani, M, The Ancient Near East: History, Society and Economy, Routledge, 2014.

⁴ Roger Pierrot, "Pétis de La Croix, François," Dictionnaire de Biographie Française, vol. 27, Paris: Letouzey et Ané, 1982, pp. 367-368.

⁵ Daniel Panzac, Barbaresques et corsaires: L'activité maritime en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles, CNRS Éditions, 1999.

الرحالة فرنسوا بوتي لأكروا 1695م

- عبد الجليل التميمي، الجزائر في مواجهة القوى الأوروبية: وثائق ومعاهدات، منشورات مركز الدراسات العثمانية، 1986م.

⁶ لتفاصيل أكثر حول معاهدات الجزائر وفرنسا ينظر/ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

⁷ وهي سنة احتلال فرنسا للجزائر، بعد تعفن قضية الديون التي كانت ملزمة فرنسا بتسديدها للجزائر، غير أنه فرض حصار بحري فرنسي على الجزائر من (1827-1830)، بعد حادثة المروحة الحجة الواهية لفرنسا، فكانت نهاية الحكم العثماني بالجزائر.

⁸ كانت بين الدولة العثمانية، على عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)، وفرنسا في عهد الملك، فرنسوا الأول، معاهدة موقعة سنة (941هـ/1535م)، عرفت بمعاهد الامتيازات الشهيرة، تلت هاته المعاهدة، معاهدات أخرى مثل: معاهدة 1553م، 1559م، في عهد الملك الفرنسي هنري الثاني (1547-1559م)، تؤكد على توطيد السلم والتعاون بين الدولتين، وبموجبها منحت لفرنسا امتيازات، سياسية، واقتصادية، وثقافية... الخ، في إيلات الدولة العثمانية، إلا أن هذه المعاهدات، وما تلاها من معاهدات أخرى مع الدول الأوروبية، أتاحت لهم فرصة التعرف على خارطة الوطن الإسلامي، كانت نتائجها البعيدة الاستعمار لهذا الأخير، فمثل هذه المعاهدات لم تحقق سوى مصالح الدول الأوروبية، فعملت هذه الأخيرة، جاهدة على تقسيم الوطن الإسلامي، والقضاء على وحدته. ينظر: يوسف علي رابع الثقفي: "معاهدة الامتيازات العثمانية- الفرنسية لعام 941هـ/ 1535م"، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة مكة المكرمة، السعودية، 1982م، ص- ص 134-177.

نتيجة توقيع معاهدة الامتيازات سنة 1535م، بين الدولة العثمانية وفرنسا، تحصل تاجران من مرسيليا، في فترة حكم البابليباي علع علي (1568-1571م)، على إنشاء شركة لصيد المرجان، بين ثغري القالة وبجاية، الذي أصبح يعرف فيما بعد بحصن فرنسا (Bastion de France) وأصبح قاعدة هامة لنشاط فرنسا الحربي والسياسي في شمال إفريقيا. ينظر/ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص ص 99، 100.

⁹ لقد أثار موضوع القرصنة عبر العصور جدلا، مازال قائما إلى اليوم، قد يتطلب بحثا وتقصي أعمق، يعتمد مناهج وأساليب جديدة مستقبلا، غير أنه ما يمكن ملاحظته، هو أن هذه القضية وفي وقت مضى، كان لها أبعاد ودعاية استعمارية، أريد من ورائها تشويه البحرية الإسلامية عامة، وبحرية الجزائر خاصة، فنعتت أيلة الجزائر بأنها: "وكر لصوص البحر"، و"عش القراصنة"... الخ، وقد كانت تستعمل هذه العبارات كحجة لتبرير الهيمنة الاستعمارية، على غرار أن القرصنة لم تكن حكرًا على المسلمين فقط، بل مارسه الكثير من الدول، وكانت البحار والمحيطات العالمية شاهدة على

ذلك. لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: فتيحة صحراوي: رياس البحر بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1009- 1246 / 1519-130م)، - دراسة اجتماعية-، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2- أو القاسم سعد الله، الجزائر، 2021- 2022م. كذلك:

- Julia Clancy-Smith, **Mediterraneans: North Africa and Europe in an Age of Migration, c.1800-1900**, University of California Press, 2011

¹⁰ كانت الجزائر سبابة في الاعتراف بالثورة الفرنسية، والنظام الجمهوري الذي أفرزته الثورة، وفي الوقت الذي تعرضت فيه فرنسا لحصار خانق سنتي 1793 و 1794م، من قبل الأنظمة الأوروبية الأخرى، سارعت الجزائر مضحية بمصالحها مع كل من إنجلترا وإسبانيا إلى مد يد المساعدة للشعب الفرنسي في عهد الداوي حسن باشا؛ من هنا تبدأ مسألة الديون تطفوا على السطح في عهد الداوي حسين، وتعمل الحكومة الفرنسية على جعل منها عقدة في تآزيم العلاقات البينية. ينظر/ جمال قنان، **العلاقات الفرنسية- الجزائرية (1790 - 1830)**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، د ت، ص ص 174، 275.

¹¹ فتيحة صحراوي، مرجع سابق. ص

¹² ابن الملك لويس الثالث عشر، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1643، وعمره 5 سنوات تحت وصاية أمه الملكة آن النمساوية تميزت فترة حكمه بالملكية المطلقة حيث كان يعبر عن سياسته هذه بعبارة "الدولة أنا L'état c'est moi" دخل في عدة حروب أوروبية منها حرب الوراثة في أراضي الجمهورية الهولندية، حرب البلاتين، حرب الوراثة الإسبانية استمرت فترة حكمه حتى سنة 1715، ينظر: عبد عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر**، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1417هـ/1997م.

¹³ - حول بنود المذكرة ينظر/ جمال قنان، مرجع سابق، ص 284 وما يليها.

¹⁴ رحمنة بليل، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010-2011. كان للقناصل الفرنسيين كل الصلاحيات من أجل حماية مصالح بلدهم، وهذا ما جعل بعضهم يفتقد لأدنى معاملات الدبلوماسية، وهذا ما أقدم عليه آخر القناصل الفرنسيين (القنصل دوفال) في تقليل أدبه مع آخر دايات الجزائر العثمانية الداوي حسين، والتدبير لحادثة المروحة الواهية ومن ثم توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا

الرحالة فرنسوا بوتي لأكروا 1695م

والتي انتهت باحتلال هذه الأخيرة الجزائر سنة 1830م. لتفاصيل أكثر ينظر/ صحراوي فتيحة: الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2017م.

¹⁵ Daniel Panzac, Op.cit.

لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

وولف جون، ب، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

¹⁶ M . Emerit, "Un mémoire sur Alger par pėtis de la Croix(1695) ", in : A.I.E.O.11, 1958, P14.

¹⁷ لتفاصيل أكثر ينظر: فتيحة صحراوي، مرجع سابق. محرز أمين : أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفاتر المواجبات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 - أبو القاسم سعد الله-، الجزائر، 2019-2020، ص123 وما يليها.

- M. Emerit, Op.cit, P14.